مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، ١٤٣٦/٢٠١٥ هـ.ق، العدد ٢١(٢)٢١-٣٨

إسقاط التجربة القصصية الإنجيلية على الواقع السياسي العربي في شعر خليل حاوي
(قصيدتا لعازر ١٩٦٢ والأم الحزينة نموذجاً)

أحمد نهيرات[١]

تاريخ الوصول:١٤٣٤/٩/٢٩ تاريخ القبول: ١٤٣٥/١٢/٢٨

استحضر خليل حاوي قصصاً من الديانة المسيحية في شعره، مستفيداً منها للتعبير بها عن الواقع السياسي، محدثاً فيها تغييرات تفي برؤاه الفنية الحديثة وتشي بمواقفه السياسية. فاستعان بقصتي(لعازر ١٩٦٢ والأم الحزينة) للتعبير عن الواقع السياسي المرير في الوطن العربي رمزياً حيث تبلورت رؤيتة التشاؤمية فيهما؛ وقد برز تشاؤمه في إلقائه مفاهيم سلبية كاليأس والضعف والحرمان والفشل. هذه الدراسة ترنو إلى فهم تعبير خليل حاوي الشعري، كما تبيّن كيفية استحضاره القصة التراثية وأسلوبه في استخدامها للتعبير عن القضايا السياسية خاصة في قضية السيادة والعلاقة بين الحاكم والمحكوم في الوطن العربي. عالجت هذه الدراسة آراء الشاعر فيما يخص(الحاكم والمحكوم) وعلاقاتهما فيوبّخ "قيادات بلا كفاءات" ويطالب باستبدالها بـ"قيادات ذي كفاءات" مؤمّلاً نفسه بظهور بطل يخلص الشعوب العربية مما هي فيه. فللشعوب العربية في القصيدتين سهم كبير؛ لذا ترى الشاعر يعاتبها على خنوعها وركونها ويطالبها بالنهوض والبعث. أما الشعب الفلسطيني(خاصة الأمهات الفلسطينيات) فقد مدحه الشاعر فاحتل مكانة مرموقة في شعره؛ كما تطرق إلى ظلم الصهاينة فانتقدهم وذكر مثالبهم. وقد تبين من الدراسة أنّ طريقة خليل حاوي الشعرية في القصيدتين المدروستين قد اعتمدت على التعبير الرمزي وذلك باستحضار رموز تراثية بنظرة تشاؤمية حالكة ضمنها كثيراً من النقد اللاذع.

الكلمات الرئيسة: خليل حاوي، القصة المسيحية، الواقع السياسي، القصة الإنجيلية، استحضار التراث.

١. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كردستان. a.nohairat@uok.ac.ir

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.21.2.4.3]

١– المقدمة

للدين أثر بين في شعر حاوي؛ وبما أنه مسيحي فقد تأثر بالرؤية المسيحية ومعتقداتها فظهر الأثر المسيحي في شعره، ولأنّه عربي عاش بين المسلمين وله معرفة بالقرآن، فقد تأثر بالفكر الإسلامي والقرآن؛ فتبلورت النظرة القرآنية في شعره.

وللقصص الدينية في شعر حاوي دلالاتها الرمزية، وهذا ما يترك سهماً للقارئ كي يشارك في تلقي المضمون: "وإذا كان الشاعر يجرد في الرمز إشارة، أو يختزل معنى، فانه يحيل القارئ إلى(المضمون) الرمز وفحواه، وما فيه من قصص، يضاف إلى رصيد النص المعنوي، والبنائي أيضاً"(الصگر، ١٩٩٩: ١٠٥) فالشاعر –أي شاعر– يستحضر الرمز لتصوير فني يتوافق مع ما في نفسه من تلونات: "ومن ثم اتجه الشاعر إلى خلق عالم أقرب إلى عالم الأحلام الذي تقوم فيه مكونات صورة الحلم بدور الإشارة والرمز وتتحول من مجرد الوصف أو الدلالة الوضعية إلى دلالة انفعالية وصورة رمزية للعالم النفسي الذي يلوّن كل جزئيات الصورة أو الحلم"(الورقي، ١٩٨٤: ٤٠)

وقد كان حاوي موفقاً في اختيار القصة المناسبة مما يدل على فكره الثاقب: "إنّ جودة التمييز هي التي تعطي للعقل صبغته الأخلاقية وهي التي تعين الوسط الفاضل في كل مجالات التعايش معاً."(المسيري، ٢٠٠٣: ٢٦٠) كل ذلك وبتأثير من إحساسه بالمسئولية والتزامه قبالة شعبه دفعه إلى أن يستخدم شعره في خدمة شعبه بصورة صحيحة: "والمثقف اليوم هو الذي يعي روح العصر، ويندمج في تياره، ويساهم عن طريق الكلمة والفكر من أجل زيادة معارف الناس وصقل وجدانهم، وجعلهم بالتالي أكثر إنسانية سواء من حيث العمل أو الإحساس(منيف، ٢٠٠٣: ٧٣)

استلهم الشاعر قصة(لعازر) من الدين المسيحي الذي أحياه المسيح(ع) بعد موته باذن الله؛ فصاغها في قصيدة بعنوان(لعازر ١٩٦٢) يصور فيها الشاعر يأس الشعوب العربية وضعفها وتخلفها. أما القصة المسيحية الأخرى التي تبلورت في شعر حاوي فهي بعنوان(الأم الحزينة) حيث تتبلور فيها القضية الفلسطينية وتبرز بروزاً صارخاً وينتقد فيها الشاعر ضعف القادة العرب وهمجية الصهاينة المحتلين كما يمتدح المناضلين الفلسطينيين الذين يضحون بكل شيء في سبيل الوطن.

في هذه الدراسة، لا ننظر إلى القصة الدينية في شعر حاوي من منظور كلامي، ولا نريد تقييمها من الناحية العقلية، وإنما القصد هو معرفة كيفية تبلور القصة الدينية في العمل الفني، بغض النظر عما تمليه المطارحات الكلامية والعقائدية. إذن، لا المفاهيم الدينية في شعر حاوي مقصودة في هذه الدراسة؛ ولا المفاهيم السياسية التي عبر عنها؛ بل المقصود هو القصة الدينية التي حملها الشاعر مفاهيم سياسية فقط.

يستقي الشاعر قصتيه من الإنجيل ثم يبلورهما في قالب جديد فني؛ محوراً في أصول القصتين مغيراً فيهما كثيراً هذا أولاً؛ وثانياً: محملاً القصتين رؤاه الفنية ومواقفه السياسية.

خلفية البحث

هناك دراسات اعتنت بشعر حاوي وأشبعته بحثاً وتحليلاً، لكننا لم نعثر على دراسة تستوعب آراءه السياسية التي حملها على هاتين القصتين الإنجيليتين فأفردناهما في هذه الدراسة.

هناك مقالة بعنوان "أشكال التناص الديني في شعر حاوي" من تأليف الدكتور علي نجفي ايوكي والسيدة فاطمه يگانه في مجلة دراسات في اللغة والعربية وآدابها السنة الثانية العدد السادس صيف ١٣٩٠ هـ. ش. في هذه المقالة لم يبيّن الباحثان الدلالات الرمزية للعازر بكل جوانبها وأجزائها بل اكتفيا بالإشارة العابرة للرمز ودلالاته على الشعوب العربية. وأما في شرح قصيدة الأم الحزينة فقد اكتفت الدراسة فقطب

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.21.2.4.3]

المقارنة بين عرب الأمس المناضلين وعرب اليوم الخاملين المتخاذلين؛ فأهملت دلالات رمزية سياسية كثيرة هامة قد بيناها في دراستنا.

هناك مقالة أخرى بعنوان "الصور الإشارية(التناصية) للموت عند خليل حاوى" في مجلة: العلوم الإنسانية الدولية–العدد ١٩(٤) ٥٥–٧٢ سنة ٢٠١٢م–١٤٣٣هـ.ق للكاتب: علي بشيري وآخرين. عالجت المقالة موضوع الموت برؤية انسانية عامة لكنها لم تتوسع بالبحث في الجوانب السياسية المتعلقة بالوطن العربي.

أسئلة البحث

١–ما مدى التحوير الذي أحدثه الشاعر في أصول القصص التراثية؟ في هذه الدراسة، نعرف كيفية تعامل خليل حاوي مع التراث القصصي الديني، والتغييرات التي أحدثها فيها للتعبير عن مواقفه السياسية. فالشاعر لم يكتف بنقل القصتين وإنما أوجد فيهما تغييرات وتحويرات، جعلتهما تتناسبان مع أفكاره وآرائه في السياسة. لذا، تبيّن هذه الدراسة مقدار وميزان التحوير الذي أحدثه الشاعر في أصل القصتين.

٢–كيف تبلورت نظرة الشاعر السلبية في نقده للواقع السياسي العربي؟ من خلال الإجابة عن هذا السؤال نلم بكيفية تبلور الواقع السياسي في الوطن العربي في شعر حاوي، وما أطلقه من نقد لاذع له؛ خاصة فيما يتعلق بالأجندات السياسية الحاكمة. كما نتوصل، من خلال نقده اللاذع للشعوب العربية، الى يأسه منهم في بعثهم من سباتهم. وأما ما تداركه فيما بعد من تنويه بالشعوب العربية في قصيدته "رسالة الغفران من صالح إلى ثمود" ليس إلا دلالة صارخة على تذبذبه وعدم استقراره على رأي واحد وثابت في هذا الصدد.

٣–ما هي مدلولات رموزه ودلالاتها النقدية؟ وأما مدلولات رموزه النقدية فهي: الحكام، الشعوب العربية، الصهاينة والفلسطينيون. فقام الشاعر أولا بنقد الحكام لفقدهم الروح الكاريزمائية التي لابد أن تتواجد في القيادات، فينتزع منهم صفة القيادة و يعتبرهم حراس كراس ليس إلا، كما يعتبرهم عجزة متقاعسين متخاذلين خاصة في القضية الفلسطينية. وقام ثانياً بنقد الشعوب العربية على خمولها وركونها إلى الضعف والتخلف. وأما ثالثاً فقد انتقد الصهاينة على جرائمهم فانتزع منهم ما يدعون من فضيلة. أما الأمهات الفلسطينيات وأبناؤهن المناضلون فهم فقط الجديرون بالاحترام والتقدير.

٢– مواصفات شعر خليل حاوي في سرد القصة الدينية

لسرد القصة الدينية على لسان حاوي الشعري مواصفات إذا ما عرفناها تمكنا من فهم شعره وإدراكه. فيما يلي نبذة موجزة عن تلك المواصفات:

٢–١ التحوير

لقد حوّر حاوي وغير كثيراً في القصة الدينية التي استحضرها لما له من تجربة شعرية جديدة، "والتجربة الشعرية الجديدة تترك للشاعر الحرية في أن يخوض عوالم متباينة بعضها من داخل نفسه، والآخر من خارجها فهي لذلك تجربة تجوب الآفاق وهي متدفقة عارمة تحطم ما يعوقها وترفض أن تخضع للقوالب"(العشماوي، ١٩٨٠: ١٢٨). فحاوي لم يكتف بنقل القصة وإنما غير فيها كثيراً حسب المتطلبات. فلعازر الذي يدل في التراث على معجزة الاحياء عند المسيح(ع) يتغير كلياً ليصبح رمز الضعف والموت. والسيدة مريم(س) التي تبكي ولدها في التراث تصبح رمزاً لأرض فلسطين التي تبكي هجرة أهلها...

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.21.2.4.3]

٢-٢ العاطفة الصادقة

عكس الشاعر -وبصورة جلية- حالته النفسية في هذه القصائد وصورها، مما يدل في جانب كبير على صدق عاطفته، فقد صور معاناته الجنسية والمآسي التي حلت به ووقعت على كاهله كعقدة الحقارة والأحاسيس السلبية كالخوف واليأس. والتعبير عن الحالات النفسية كثير وشائع في جميع الفنون ومنها السرد القصصي -حتى في القالب الشعري- لأنّه بذلك يتمكن القارئ والكاتب من استشعار العلاقات: "ونحن ندرك أنّ السرد القصصي يشبع لدى الكاتب والقارئ ميلاً فطرياً إلى تذوق العراك والمآسي في العلاقات بين الكائنات"(شريم، ١٩٨٧: ١٥)

٢-٣ إعطاء القصة جانباً أسطورياً

من الطبيعي أن يعطي حاوي شعره صبغة أسطورية فهو سيد التموزيين الذين أسرفوا في استحضار الأساطير بل وفي خلق أساطير لشخصيات تاريخية واقعية.

وقد نجح الشاعر، باستحضار الأساطير، فيتجنب شعره جفاف السرد والروتينية؛ "...ليس بوصفها بدائل للواقع، بل بوصفها وسائل لاستعادة مناخات البداءة الانسانية، ولإثراء التعبير الأدبي وتحريره من جفاف الواقعية بمعناها المبذول، والآلي الذي يحدد فعاليات القراءة والتأويل في رقع دلالية ضيقة"(الصالح، ٢٠٠١: ١٤٩)

لكن استجلاب الأسطورة ودلالتها الرمزية يجب أن تواكب العصر ومتطلباته: "ومهما تكن الرموز التي يستخدمها الشاعر ضاربة بجذورها في التاريخ، ومرتبطة عبر هذا التاريخ بالتجارب الأساسية النمطية(أي بوصفها رموزاً حية على الدوام) فانها حين يستخدمها الشاعر المعاصر لا بد أن تكون مرتبطة بالحاضر، بالتجربة الحالية، وإن تكون قوتها التعبيرية نابعة منها"(إسماعيل، ٢٠٠٧: ٢٠٠)

٢-٤ التكرار

التكرار ظاهرة بارزة في شعر حاوي حيث برز بشقيه اللفظي والمعنوي: "يجسد التكرار شكلاً من أشكال الترابط المعجمي على مستوى النص. ويتمثل في تكرار اللفظ أو مرادف له في الجملة"(الصبيحي، ٢٠٠٨: ٩٠). هذا التكرار اللفظي له مساهمة فعالة في تحلية العمل الشعري: "إن تكرار الأصوات والكلمات والتراكيب، ليس ضرورياً لتؤدي الجمل وظيفتها الدلالية والتداولية، ولكنه "شرط كمال" أو "محسن" أو "لعب لغوي" مع ذلك كله فانه يقوم بدور كبير في الخطاب الشعري"(مفتاح، ٢٠٠٥: ٣٩) وأما المعاني التي كررها حاوي فهي كثيرة منها: ضعف لعازر واليأس منه في قصيدة لعازر؛ وموضوع فلسطين والمناضلين في قصيدة الأم الحزينة...

إنّ التكرار وإن كان من الأساليب التي تزيل الإبهام وتزيد المعاني شفافية إلا أنّ هذا لا يعني أن شعر حاوي سهل وشفاف وغير مبهم؛ بل فيه صعوبة خاصة في التراكيب الإضافية كعناوين القصائد ومقاطعها. وشعره الديني يزداد غموضاً وصعوبة لما في المفاهيم الدينية من دلالة على الـ"ماورائيّة". لذا قد نواجه صعوبة حتى في فهم معنى المفردة الواحدة لأنّ "المعنى القاموسي ليس ما يريده، ولكن إيحائية الكلمة، الكلمة الموحية"(المقالح، ١٩٨١: ٤٣)

٢-٥ إشراك المتلقي في العمل الشعري

يعتمد حاوي في شعره على متلقيه وفهمه للموضوع الشعري؛ سواء في مستوى المعلومات التاريخية والاجتماعية أو في مستوى الاستيعاب الفني للموضوع الشعري. فكثيراً ما يرسل حاوي المفهوم الشعري دون أن يمهّد له أو يبين قصده منه؛ ما يسبّب في بعض الأحيان غموضاً وإبهاماً؛ وذلك ليس إلا نتيجة ما يعتقده من لزوم إشراك المتلقي في

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.21.2.4.3]

العمل الفني؛ شأنه في ذلك شأن سائر التموزيين.

٣- القصة الدينية في ديوان خليل حاوي

استخدم خليل حاوي القصة الدينية لعلقتها بالنفوس، ومكانتها العالية بين المتلقين وقداستها بينهم ولدلالتها القوية على مفاهيم لا يستطيع الكلام العادي تأديته. أضف إلى ذلك العلاقة الراسخة والقديمة ما بين الدين والشعر. فكثير من الطقوس الدينية جاءت شعرية منظومة، كما استخدم المتدينون القوالب الشعرية أداة للتعبير التربوي والدعوي دوماً. فلم لا تكون هذه العلاقة وهما اللذان لهما التأثير الأول والبارز على الروح البشرية وأحاسيسها. كما أنّهما، أي الدين والشعر، يرميان إلى التحليق بالروح في أجواء روحانية.

إنّ لغة حاوي في قصائده الدينية متوترة جداً فهي تدل على اضطرابه الفكري والنفسي. ففي بعض الأحيان، يستخدم تراكيب وأوصافاً تدل على نوع من تحبيب ما هو مكروه كما في: "غربةِ الموتِ الحبيبْ"؛ أو إضفاء حالة من الاشمئزاز على لغة لها دلالتها المحببة عند أهل اللغة كما في: "شَهْوَةُ الموتِ". فالشاعر في الأولى وصف الموت بالحبيب وهو وصف لا تستسيغه النفوس وفي الثانية أضاف الشهوة إلى الموت وهي اضافة غير مستساغة؛ فالشهوة دليل على إحساس إيجابي بينما الموت يترك أثراً سلبياً في النفس.

٣-١ قصة لعازر

قصة استقاها حاوي من الإنجيل وصبها على الواقع السياسي العربي؛ جاءت هذه القصة في الإنجيل للتعبير عن معجزة النبي عيسى ابن مريم(ع) في إحياء الموتى بإذن الله تعالى، "غير أن حاوي استدعى قصة إحياء لعازر على يد المسيح(ع) فوظفها توظيفاً عكسياً، إذ كان لعازر في الإنجيل راغباً بالحياة والبعث ولكنه في شعر حاوي يهرب من الحياة والبعث ويحب الموت"(نجفي ايوكي: ١٥٧). وقد حوّر فيها الشاعر لدرجة إسقاطها على الواقع السياسي العام في المجتمع متخذاً من رمز القصيدة مادة نقدية لاذعة للشعوب العربية.

٣-١-١ أصل القصة في الديانة المسيحية

هي قصة رجل عاد إلى الحياة بعد موته على يد المسيح(ع)؛ ينقل إنجيل يوحنا القصة كالتالي: ١ وكان رجل مريض وهو لعازر من بيت عنيا. ١٧ فلما وصل يسوع وجد أنه في القبر منذ أربعة أيام.٢٠ فلما سمعت مرتا بقدوم يسوع خرجت لاستقباله، في حين أن مريم ظلت جالسة في البيت. فقال لها يسوع: سيقوم أخوك.٣٤.... ٣٨ فجاش صدر يسوع ثانية وذهب إلى القبر، وكان مغارة وضع على مدخلها حجر. ٣٩ فقال يسوع : إرفعوا الحجر.... ٤١ فرفعوا الحجر... ٤٣... ثم صاح بأعلى صوته: يا لعازر، هلم فاخرج. ٤٤ فخرج الميت مشدود اليدين والرجلين.... فقال لهم يسوع: حلوه ودعوه يذهب(إنجيل القديس يوحنا)

٣-١-٢ القصة في القصيدة والتحوير فيها

ذكر حاوي قصة(لعازر و زوجه) في قصيدة بعنوان "لعازر عام ١٩٦٢" في(ديوان بيادر الجوع: ٣٣٣). وهي من أطول قصائده؛ تصور القصيدة ميتاً عاد إلى الحياة بإذن الله على يد المسيح(ع) ولكنه لا يرغب في العودة إلى الحياة ثانية؛ فتكون له مواقف في الدنيا على غير ما ألفها الآخرون منه خاصة زوجته. فلعازر القصيدة، بعد البعث، يعبّر عن سخطه من العودة إلى الدنيا، فيتشبث بالبقاء في القبر لأنّه لا يستطيع أن يتكيف مع مستلزمات الحياة من نشاط وقوة وحيوية وحب للزوجة الحبيبة. وتنتهي قصة

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.21.2.4.3]

القصيدة بهذه النهاية المأساوية المشحونة بالضعف واليأس والاضطراب.

وكما رأينا يتكون عنوان القصيدة من الاسم(لعازر) والعدد(۱۹٦۲). أما الاسم فهو أسطورة(لعازر) ودلالته الرمزية على الشعوب العربية.

وأما العدد(۱۹٦۲) فله دلالاته العصرية؛ فهي السنة التي توحي إلى الأذهان واقعة الانفصال بين البلدين العربيين(مصر وسورية). حيث انفصل البلدان بعدما بعثا أمل الوحدة والاتحاد في نفوس العرب، فصارت تلك السنة سنة شؤم للمتطلعين إلى اتحاد الشعوب العربية(راجع: ابوالحسن شيرازي، ۱۳۹۰: ۱۲۱)

من أهم سمات القصيدة النظرة التشاؤمية التي تبدو جلية من العنوان والعدد الذي فيه وكذلك من المطلع الذي يعبر فيه عن الهزيمة والانهيار: "كنت صدى انهيار في مستهل النضال، فَغَدوْتَ ضجيجَ انهيارات حين تطاولتْ مراحلُه. ثم راحَتْ ملامحُك تكوّن ذاتها في ذاتي، وتعتصِرُ من كلّ مناضلٍ ينهارُ أخصّ صفاته وأعمّها"(الديوان: ۳۳٥) وتتواصل هذه النظرة المتشائمة في قالب لحن ساخر على طول القصيدة، إلى أن تبلغ حداً من المأتم ليس بعده حد وذلك حين تفقد الزوجة زوجها. على العموم، ينحو الشاعر فيها منحى نقدياً لاذعاً للشعوب العربية، متهماً إياها بالتهاون والضعف والتخاذل.

۳-۱-۳ الدلالة الرمزية الوحيدة للقصيدة على الشعوب العربية

لعازر هو البطل أو الشخصية الرئيسة للقصيدة، فهو يرمز إلى الشعوب العربية التي أصابها الخمول والضعف والركون إلى التخلف. ويخوض بطل القصيدة تجربة كانت وما زالت تجلب أنظار جميع المفكرين ومنهم الشعراء؛ وهي تجربة الموت التي ساهمت في صياغة كثير من الشعر، لما فيها من الغموض والأثر على أحاسيس الشعراء وعواطفهم، لهذا قالوا: "تولَدُ الحالةُ الشعرية في زمن المفاصل التاريخية سواء كانت الأحداث شخصية أو عامة، مثلاً الموت، حيث تتجمع كل الأحاسيس تجاه أسئلة العالم الكبيرة، ولابد أن يكون الشاعر طرفاً مشاركاً في هذه الحالة،..."(المناصرة، ۲۰۰۷: ٦۹)

ولقد اعتمد الشاعر في القصيدة على شخصيتين رئيستين للتعبير عن موقفه من الواقع السياسي في الوطن العربي؛ هما لعازر وزوجه. لعازر هو الرمز الوحيد في القصيدة والمصداق الوحيد للشعوب العربية. أما الزوجة في القصيدة فهي ليست إلا أداة تعبير عن آراء نقدية حول الزوج ومدلوله على لسانها. "فيستدعي الشاعر لعازر...ليبين مدى اخفاق العرب في انبعاثهم الحضاري والإنساني... لعازر الذي يرمز إلى العرب الذين لا يستطيعون أن يتكبدوا مشقات البعث ومجابهة الوجود"(بشيري: ٦۰)

لقد أسقط الشاعر على شخصياته في القصيدتين المذكورتين آنفاً، نوعاً من الاستحالة فصيرهما من الأساطير؛ التي لا تمت إلى الواقع الخارجي المنقول في المنابع الدينية المسيحية بصلة. لكنه في تصويره الأسطورة لا يتناسى أن يصب عليها شيئاً من الواقع لأنه: "ليست الأسطورة وهما أو خيالاً لا معنى له، كما قد يعتقد البعض، بل هي منطوق النفس الإنسانية، مثلها مثل الشعر، تنشأ من حاجات إنسانية وروحية، تتخذ من الإيحاء والرمز بنية لها، وتجنح كالشعر، إلى أن تخلع على التجربة نوعاً من السحر والرهبة."(بلحاج، ۲۰۰٤: ۳۸)

وللتعبير عن نظرته السلبية إلى لعازر ومدلوله اتخذ الشاعر مناحي ثلاثة؛ الأول: صب على لسان الزوجة نقده عن الرمز؛ والثاني: أجرى على لسان الرمز ذمه نفسه وتحقيره لها، والثالث: أبدى الشاعر تقريراً عن آرائه حول

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.21.2.4.3]

الرمز بلسانه. ندرس هذه المناحي فيما يلي:

٣-١-٤ وصف(لعازر) رمز الشعوب على لسان الزوجة

بدأ الشاعر بوصف لعازر على لسان زوجته، والقاسم المشترك في أوصافه هو أنَّ الزوج قد افتقد رجولته، فلم يعد قادراً على ممارسة العاطفة الجنسية والإنجاب وهما حاجتان كانت الزوجة بأمس الحاجة إليهما كما صوّرها الشاعر.

سنستعرض الآن آراء الزوجة عن زوجها "لعازر" مستشهدين بالأشعار:

في المقطع الثاني(رحمة ملعونة)، تعبر الزوجة عن امتعاضها عن عودة لعازر ويصدمنا الشاعر برأي الزوجة السلبي بزوجها وعودته اليها، وهو رأي يمهّد به لما يريد ان يصبَّه على لعازر من غضب مستحقّ لأنّه: "حجَّرته شهوة الموت"(م.ن: ٣٤١).

ثم يقدم الشاعر إمتعاض الزوجة على فرحها -وإن كان في الأصل والواقع متاخراً عنه- لأنه يريد بذلك بيان نظرته السوداوية والمتشائمة حول الزوج من أول وهلة، وليبين رأيه في لعازر ومدلوله(أي الشعوب العربية) من أول القصيدة حتى آخرها. هذا المفهوم العام لرأي الزوجة في المقطع هو تمهيد لنقد الرمز ومدلولهو ذلك من خلال بيان امتعاض الزوجة عن عودة الزوج. والشاعر يمهد رمزياً ليصب جام غضبه على مدلول لعازر أي الشعوب العربية.

أما المقطع الثالث(الصخرة) فيخاطب فيه لعازر الحفار ويطالبه بدفنه مرة أخرى للخلاص من واقع الدنيا: أنْبتِ الصخرَ ودَعْنا نحتَمِي/ بِالصَّخرِ منْ حُمّى الدَّوار(م.ن: ٣٤٤)

وفي المقطع الرابع(زوجة لعازر بعد أسابيع من بعثه) يصوّر لنا الشاعر هول الزوجة وردة فعلها النفسية، حين تعرف ضعف الزوج في مبادلتها العاطفة التي تبتغيها كل امرأة من زوجها. الزوج، وإن عاد إلى الزوجة، إلا أنّه مازال يفارقها جنسياً، لأنه افتقد كل إحساس يوقظ فيه الرغبة الجنسية رغم ما في الزوجة من رغبة في ذلك: "كانَ ظِلاً أسوداً/ يغفو على مِرآةِ صدري/ زَوْرَقاً مَيْتاً/ على زَوْبَعَةٍ مِنْ وَهْجِ/ نَهْدَيَّ وَ شَعْري/ كانَ في عَيْنَيْهِ/ لَيْلُ الحفرةِ الطِّينيُّ يَدْوِي ويَمُوجْ/ عبرَ صحراءَ تغطِّيها الثّلوجْ ...".(م.ن: ٣٤٦-٣٤٧) فالمفهوم العام للمقطع يقول أن الزوج لم يعد رجلاً في عين الزوجة وهو تحقير ليس بعده تحقير. والشاعر يصدمنا برأيه السلبي الصرف عن الشعوب العربية التي لا يمكنها أن تؤدي ما على الرجال من واجب. إنَّ الشاعر يعصرِنُ هذا المقطع، حين يستخدم الزوجة أداة فاعلة للتعبير عن رأيه السياسي فيما يخص الواقع العربي، فقد ساق على لسانها نقداً لاذعاً للزوج(رمز العرب) وذلك بذكر عجزه الجنسي: "يلتقيني علفاً في دربِهِ/ أنثى غريبةْ / يَتَشَهَّى وجعي، يُشْبِعُ/ مِنْ رعبي نيوبَهْ/ كنتُ أَسْتَرْحِمُ عينيهِ/ وفي عينيَّ عارُ امرأةٍ/ أَنَّتْ، تعرّت لغريب".(م.ن: ٣٤٨-٣٤٩)

فتتساءل الزوجة(مستنكرة) عن سر عودته الغريبة؛ وكأنها تريد أن تقول أنّه لا خير في عودته: "ولماذا عادَ مِنْ حفرتهِ/ ميتاً كئيبْ/ غير عِرْقٍ/ ينزف الكبريتَ مسود اللهيبْ "(م.ن: ٣٤٩)

أما في المقطع الخامس(زخرف) فنشاهد فيه تعبيراً عن فرح خادع غمر الزوجة؛ بعد عودة الزوج. فظنّت بأنه سيشبع عطشها إليه؛ فأخذت تشرح لجارتها سعادتها وأجواء الفرح في بيتها: "جارتي يا جارتي/ لا تسأليني: كيفَ عادْ/ عادَ لي مِنْ غربةِ الموتِ الحبيبْ/ حجرُ الدّارِ يغنّي/ وتغنّي عَتَبَاتُ الدّارِ والخمرُ/ تغنّي في الجِرَارْ/ وستارُ الحزنِ يخضرُّ/ ويخضرُّ الجدارْ/ عندَ بابِ الدَّارِ ينمو الغارُ، تَلْتَمُّ الطُّيوبْ"(م.ن:٣٥٠-٣٥١)

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.21.2.4.3]

كانت عودته من موت لا رجوع بعده. واعتقدت الزوجة بأنه عاد ليرضي أنوثتها، ويعيد لها حباً قد يئست منه وظنت بأنّ زمنه قد فات:

عـادَ لي مِنْ غـربـةِ الـموتِ الـحبيـبُ/ زنـدهُ مِـنْ بَيْلَسَانٍ حولَ خصـري/ زنـدهُ يزرعُ نَبْضَ الوردةِ/ الحَمْرَا بِعُمْري/ بعـدَ أنْ رَمَّدَ في لـيـلِ الـحِـدَادْ/ مَنْ يظنُّ الـموتَ مَـحْـواً/ خَلِّهِ يحصـي على الـبيـدرِ/ غَـلاَّتِ الـحصـادْ/ ويرى وجهَ حبيـبي/ وحبـيـبـي كـيـفَ عـادْ/ عـادَ لي مِـنْ غـربـةِ الـموتِ الـحبيـب...(م.ن: ٣٥١-٣٥٢)

كان على الشاعر أن يقدم هذا المقطع على المقطع السابق لا أن يضعه بعده؛ ولكن ما السبب في هذا التقديم والتأخير؟ أعتقد أن الشاعر؛ وبحافز من نظرته التشاؤمية، قدّم النظرة السلبية عن الزوج(ضعفه الجنسي) على الإيجابية(فرح الزوجة من عودته) لتكون الصدمة النفسية على الزوجة أكبر وأعظم. أما المفهوم العام للمقطع فيصوّر مدى وقع الصدمة النفسية على الزوجة بعدما بنت لنفسها صرحا من الآمال ثم رأته يتلاشى أمام واقع صادم. كما أنّ الدلالة الرمزية في المقطع تكمن في التعبير عن أمل الشعوب العربية بالانبعاث والثورة والخروج مما هي فيه من خمول وتخلف. ولكنه أمل سرعان ما يختفي حين يصطدم بواقع مرير.

في المقطع السادس(الخضر المغلوب) نواجه تعبيراً عتابياً عن عطش الزوجة لزوجها وتلهّفها له. وذلك بالتأكيد على ما بين الإثنين من علاقة عاطفية تبلغ ذروتها في السرير: "ولماذا لم يَعُدْ يشتفُّ ما في صدريَ الريّانِ من حبٍّ تصفّى واختمرْ... غيمةٍ تُزهرُ في ضوءِ القمرْ... وسريرٍ مارجٍ بالموجِ من خمرٍ وطيبْ...".(م.ن: ٣٥٣-٣٥٤). هذا المقطع يبين عطش الزوجة وميلها إليه وبرودة الزوج وعزوفه عنها. فهي تتسائل عن عدم اكتراثه لعطشها وتركها ريانة فتعاتب؛ لم لا تكون كذلك وقد امتلأت فرحاً واستشاطت هيجاناً من عودةِ رجل كان سابقاً يبادلها عواطف كثيراً ما تنتهي بالممارسات الجنسية. إنّ المفهوم العام في المقطع يدل على خيبة أمل من يعتمد على هذا الزوج ومدلوله. ودلالته الرمزية العصرية تكشف خيبة أمل من يعتمد على بعث الشعوب العربية، ويقظتها من سباتها الطويل العميق.

وفي المقطع السابع(عرس المغيب) هنا كتعبير عن يأس الزوجة من ضعف الزوج، حين يصدمها واقع مرير وهو عجز الزوج عن ممارسة الجنس. فبينما كانت تنتظر الارتواء الجنسي منه، لكنها تتفاجأ حين تكتشف عجزه عن إروائها: "ما جنونُ الدَّخنةِ الْحمراء/ في فَجوةِ جرحٍ لنْ يطيب/ لِجَريحٍ يَتلاشَى في سَريرِ الْموجِ/ منْ خمرٍ وطيب"(م.ن: ٣٥٦) فالمفهوم العام لهذا المقطع يبيّن اليأس الذي سيطر على روح الزوجة نتيجة اعتمادها على الرمز. ومدلوله الرمزي العصري يصور الياس الذي سيبين خطأ الاعتماد على المدلول ونتيجته السلبية على روح المعتمِد. يريد الشاعر أن ينتقد الواقع العربي على العموم، لانه افتقد رجولته فلا يستطيع القيام بما يقوم به أبسط الرجال وأضعفهم؛ ومَنْ يعتمد على هذه الشعوب الضعيفة في أمور صعبة كتحرير الأرض المحتلة وقيادة المجتمات فلن يجني إلا يأساً يملؤ نفسه.

وفي المقطع الثامن(زوجة لعازر بعد سنوات) تعبير عن وصول الزوجة إلى المأزق، وعن مدى شعورها بالإحباط من عودة الزوج، خاصة في المجال الجنسي: "غَيِّبيني في بياضٍ صامتِ الأمواجِ/ فيضي يا لَيالي الثَّلجِ والغربـةِ/ فيضي يا ليـالي/ وَامْسَحي ظِلّي وآثارَ نعالي/ إمْسحي برقاً أُداريهِ/ أُداري حَيَّةً تُزْهِرُ في جُرْحي وتُرغي/ شَرَرَ الأسلاكِ في صَدْغَيَّ/ مِنْ صَدْغٍ لِصَدْغٍ / إمسحي الْخصبَ الذي يُنْبِتُ/ في السُّنْبُلِ أضراسَ الجَرَادْ...(م.ن:٣٦٠-٣٦١) والمفهوم

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.21.2.4.3]

العام لهذا المقطع يدل على النهاية المأساوية للزوجة التي اعتمدت على هذا الزوج(وبالطبع مدلوله) والمأزق الذي وقعت فيه؛ إنّ الدلالة العصرية الرمزية تكشف عن عاقبة الشعوب العربية وما ستؤول اليه أمورهم.

في المقطع التاسع(انهيار) تتمنى الزوجة الانهيار والضياع فإنها تشعر بالغربة في فراشها وهي غاية الغربة، فتخاطب ليالي الثلج والبرد أن تغيّبها وتمسح ذاكرتها من ماض بهيج استبدل بحال مر: غيّبيني وامْسَحي ذاكرتي، فيضي/ ليالي الثلج في الأرض الغريبة/ غربة الثلج وموت الدربِ/ والجدران في الأرض الغريبة(م.ن: ٣٦٥)

أما في المقطع الثاني عشر فيصوّر الشاعر معاناة الزوجة في سريرها حين تتلوى عطشا فلا ترى من زوجها ردة فعلترضيها: "... حسرةَ الأنثى تشهّت في السريرْ/ مهدت صهوةَ نهديها/ تهاوت زورقا يلهث في شط الهجيرْ/ خلف بعل لايجيرْ"(م.ن: ٣٧٢)

٣-١-٥ وصف(لعازر) رمز الشعوب على لسانه شخصياً

لعازر، كرمز للشعوب العربية، وصف نفسه، وعبّر عن حالاته النفسية في القصيدة؛ نذكرها فيما يلي مبيّنين ما لكل وصف من دلالة سياسية على مدلولها(أي الشعوب العربية):

في الجزء الأول من القصيدة(حفرة بلا قاع)، يصور الشاعر عدم شوق لعازر من العودة إلى الحياة الدنيا. إذ يتشبّث هذا الرجل الميت(لعازر) بالبقاء في قبره؛ فمنذ المستهل، اختار الشاعر عنوان(حفرة بلا قاع) ليصوّر العبثية وما تبعثه في النفس من عدم ولا شيئية. المقطع يحمل في طياته نفسا متشائمة عن لعازر حتى يتمنّى البقاء ميتاً: "عمّقِ الحفرةَ يا حفّارُ/ عمّقها لقاعٍ لا قرارْ/ يرتمي خلفَ مدارِ الشّمس/ ليلاً مِنْ رمادٍ/ وبقايا نجمةٍ مدفونةٍ خلفَ المَدارْ/ لا صَدىً يرشحُ مِنْ دوّامةِ الحمّى/ ومِنْ دولابِ نارْ ".(م.ن: ٣٣٩)

لا يقنع لعازر بهذا فقط، بل يرفض كل ما يمت إلى الحياة بصلة من تراب طري و... مخافة أن يتذكر الحياة: "آهِ لا تُلْقِ على جسمي تراباً أحمراً حَيَّاً طَريّ رَحِمَاً يَمْخُرُهُ الشّرشُ ويَلْتَفُّ على المَيْتِ بعنفٍ بربري"(م.ن:٣٤٠). لعازر هنا يخاف الحياة فلا يرغب فيها فيتجنبها عله يجنب نفسه متاعب مواجهة مشاكلها. إذا المفهوم العامّ للمقطع يعبر عن خوف لعازر من مواجهة مشاكل الحياة وعدم ثقته بنفسه. ودلالته العصرية الرمزية تعبر عن الواقع العربي العام الذي لا يعرف التعامل مع المستجدات العصرية ومواكبة الحضارة وما يترتّب على ذلك من ثمن باهظ.

في المقطع الثاني(رحمة ملعونة)، يفاجأ القارئ بشك لعازر بقدرة المسيح(ع) على إحيائه واعادته إلى الحياة مرة أخرى:"صَلَواتُ الحبِّ والفصح المغنّي/ في دموعِ النّاصِريّ/ أترى تبعثُ مَيْتَاً/ حَجَّرَتْهُ شَهْوَةُ الموتِ/ ترى هَلْ تستطيعُ/ أنْ تُزيحَ الصَّخْرَ عنّي/ والظّلامَ اليابسَ المركومَ/ في القبر المنيع..."(م.ن: ٣٤١-٣٤٢). فيأتي الشاعر، على لسان لعازر، بتصوير عن ميت آيس من الحياة؛ لا تستطيع الصلوات والابتهالات أن تعيده إلى الحياة، لصلابة الصخور عليه والظلام الدامس وتراكم التراب الذي جعل القبر منيعا لا يمكن تخطيه. إذا المفهوم العام لرأي لعازر عن نفسه في هذا المقطع، يبين عدم إيمانه بالبعث مرة أخرى والدلالة العصرية فيه تكشف عن عدم إيمان الشعوب العربية بقدرتها على البعث، وفقدانها الثقة بالنفس.

هذا المقطع، يعبر عن نظرة متشائمة للواقع العربي واليأس من الشعوب على البعث ومواكبة العصر الذي يتطلب حركة مندفعة إلى الأمام. فالبعث الذي أشعل نور

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.21.2.4.3]

الأمل في القلوب انطفأ بسرعة، ليحل محله اليأس مرة أخرى؛ وليدل على أن الأمل بالتغيير في الجيل العربي في هذه الظروف وفي الأجواء السائدة أمر مستحيل. ويخلص إلى أنّ الشعوب العربية ماتت من زمن بعيد فلا أمل ببعثها: "... رحمةٌ ملعونةٌ أوجعُ من حُمّى الربيعْ .. صلواتُ الحبِّ يتلوها صديقي الناصري... كيف يُحيِيني ليجلو/ عَتمةً غَصّتْ بها أختي الحزينةْ/ دون أنْ يمسحَ عن جَفنيَّ/ حُمّى الرعبِ والرؤيا اللعينةْ"(م.ن: ٣٤٢)

فالشاعر في هذه الكلمات يقطع الرجاء من الصحوة العربية بالتشكيك الذي صاغه على لسان الرمز(أي لعازر). لعازر الرمز اعتاد السكون والخمول فلا أمل في انبعاث مدلوله الرمزي(الشعوب العربية) في ظل الظروف الراهنة وما هي عليه من تخلف.

في المقطع السابع عشر(جوع المحامر)، تعبير على لسان لعازر للتنديد بالحياة الدنيا. يواصل الشاعر، على لسان لعازر، التعبير التشاؤمي والشكوى من ثقل واقع الحياة المزري، فيتمنى الموت للخلاص من وطأة حياة لا رغبة له فيها؛ فحبه الموتَ ليس إلا للفرار من هذا الواقع المرير: "أنطوي في حفرتي/ أفعى عتيقـة/ تنسـج القـمـصـانَ/ مِنْ أبخرةِ الكبـريت، مِنْ وَهْجِ النّيِّوبْ/ لحبيبٍ عادَ مِنْ حفرتِهِ/ مَيْتاً كئيبْ/ لحبيبٍ ينزفُ الكبـريتَ/ مُسْوَدَّ اللّهيبْ"(الديوان: ٣٨٦-٣٨٧). فالمفهوم العام يدل على إحساس لعازر بالهزيمة النفسية أمام واقع الحياة. ودلالته العصرية الرمزية تتمثل في الشعوب العربية التي انهزمت نفسياً في معترك حياة لا تستطيع أن تواكبه(في سرعته وتقنيته و...).

٣-١-٦ تقارير الشاعر السياسية

في المقطع الحادي عشر(المجدلية)، تعريف بواقع لعازر من وجهة نظر الشاعر. هنا نتعرف واقع لعازر من منظور الشاعر إذ يتراءى له كتارك للدنيا، فهو، بعد عودته، من عالم الأموات ليس إلا مجرد ملاك نوراني، افتقد كل إحساس يربطه بالدنيا؛ فقد استحال بعد البعث(طيفاً قمرياً ؛ أو إلهاً قمرياً)، ولم يقدر على الإخصاب والتوليد فقد ماتت فيه الرغبة إلى ذلك: ".../ مَرَّ في الصَّحْوِ مَلاكٌ/ وانْطَوَى يدمعُ في ظِلِّ القمرْ/ حيثُ لا يُرْعِدُ جوعٌ مَارِجٌ بالزَّفَرَاتْ/ كنتَ طَيْفَاً قَمَرِيَّاً/ وإلهَاً قَمَري/ كنتَ ثوباً غَائِمَاً/ يَعْبَقُ بالضَّوءِ الطَّري/ يَتَمَشَّى في جروحِ المَرْيَمات ... "(الديوان: ٣٦٩-٣٧٠)

يصور الشاعر لعازر ملاكاً نورانياً منشغلاً بما وراء الواقع المحسوس والملموس الدنيوي. إذن يمكن القول إنّ المفهوم العام لهذا لمقطع يتضمن نقداً لاذعاً لانشغال الرمز بالطقوس الدينية الفارغة والبدع التي جنبته واقع الحياة. يريد الشاعر بذلك أن يشكو حال العرب الذين اكتفوا بالصلوات والابتهالات والطقوس الفارغة البعيدة عن روح الدين الواقعي، فيعتبر انشغالهم بهذه الشكليات سبباً في ابتعادهم عن المسؤولية الملقاة على عواتقهم ألا وهي التعامل الفعال مع واقع الحياة.

وقد استعان الشاعر بالقصة، ليقدم تقريرين آخرين عن الواقع السياسي في الوطن العربي والدور السلبي للمستعمرين والأجانب في تمرير سياساتهم المشؤومة فيها.

التقرير الأول: في المقطع الثالث عشر(لذة الجلاد)، يستخدم الشاعر قصة التآمر على المسيح(ع) وتحريض المخالفين على قتله، كمادة تراثية للتعبير الفني عن التآمر الذي يحاك في الدواليب السياسية على العرب عامة ولبنان خاصة. فالشاعر يقول بان هناك مؤامرات وخيانات من قبل المستعمرين وعملائهم المرتزقة: "رفاقُ العمرِ/ غربانُ الضميرْ/ وجواسيسُ السفيرْ(الديوان: ٣٧٧). فالمفهوم العام يكشف عن واقع المؤامرات الاستعمارية بالتنسيق مع

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.21.2.4.3]

عملاء الداخل.

التقرير الثاني: وفي المقطع الرابع عشر(الجيب السحري) يصور الشاعر ما للاستعمار الأمريكي من دور في إفساد العرب ولبنان حين استحضر السفير الأمريكي ليلعب دوراً في العلاقة المتدهورة بين لعازر وزوجته المتعطشة للجنس:

"غيبيني وامسحي ظلّي/ وآثارَ نعالي/ يا ليالي الثلج، فيضي يا ليالي/ إمسحي ظلّي أنا الأنثى/تشهّتْ في السريْر/ خلفَ بعل لا يُجيرْ/ مارداً عاينتهُ يطلعُ/ من جيبِ السفير"(الديوان: ٣٧٧-٣٧٨). فيبين هذا المقطع اهتمام المستعمرين بتفشي الفساد في الدول العربية للسيطرة عليهم فيما بعد.

٣-٢ قصة حزن السيدة مريم(ع) في قصيدة "الأم الحزينة"(ديوان الرعد الجريح: ٣٩١)

قصة استقاها الشاعر من الديانة المسيحية تصور حزن السيدة مريم(ع) على فقد ابنها الوحيد السيد المسيح(ع) الذي صلبه اليهود ظلماً وجوراً. وكتب خليل حاوي قصيدة «الأم الحزينة» بعد هزيمة حزيران، فجاءت صورة لذهول حزين أمام واقع مرعب؛ يقارن فيها حاوي بين ذهول السيدة مريم(ع) من صلب ابنها الوحيد وذهول العرب بعد هزيمة حزيران.

٣-٢-١ أصل القصة في الإنجيل

لقد فصلت الأناجيل منها: (إنجيل يوحنا، ١٩: ٤٢) أخبار وتفاصيل القبض على يسوع ومحاكمته وتعذيبه وصلبه ومن ثم قتله ودفنه وحزن أمه عليه لذا لا داعي لذكرها هنا.

٣-٢-٢ قصة الأم الحزينة في القصيدة

القصة على العموم تصور القضية الفلسطينية تصويراً عاطفياً؛ يطغى الخوف عليها، من أولها الى آخرها؛ الأم هنا هي أرض فلسطين التي تحزن لفقدها أبنائها المناضلين في ميادين القتال مع الصهاينة المحتلين الذين يأتون إلى فلسطين ضيوفاً، ولكنهم يخلون البيوت من أهاليها ويسكنون فيها. هذا الواقع المرير يحدث أمام أعين الشعوب العربية التي لا تحرك ساكناً فيهم فيعيرهم الشاعر ويقارن بين عرب التراث وعرب اليوم. فحزن الأم(الأرض الفلسطينية) في هذه القصيدة هو لفقدها أبنائها المناضلين الذين يستشهدون في سبيل تحرير أرضهم المحتلة. كما حزنت مريم(س) لصلب ابنها الوحيد(ع).

٣-٢-٣ الدلالة الرمزية للقصيدة على الواقع الفلسطيني

كل واحد من رموز القصيدة يعبر بصراحة عن شخصية من الشخصيات التي لعبت دوراً في القضية الفلسطينية. عنوان القصيدة(الأم الحزينة) يعبّر عن شخصية لا نرى لها دوراً كبيراً في القصة بالذات ولكنها تترك أثرها في تربيتها البطولية والنضالية لأولادها المناضلين الذين يسطرون اسمى آيات البطولة والفدى في سبيل الوطن. أما الشخصية الأخرى فهي الضيف الغاصب أو الصهاينة المحتلون الذين يعيرهم الشاعر بمثالبهم ويكشف زيف ادعاءاتهم. وأما الشخصية الأخيرة في القصيدة فهي الشعوب العربية التي يصب الشاعر جام غضبه عليهم؛ فيقارن بين ماضيهم الزاخر بالمفاخر وحاضرهم المخزي. شخصيات القصيدة إذن ثلاث، اثنان منهم دلالتهما رمزية يتمثلان بالأم الحزينة التي ترمز الى أرض فلسطين المحتلة والثانية الضيف الغاصب المتمثّل بالصهاينة المحتلين؛ وأما الشخصية الثالثة فهي الشعوب العربية التي يصرح الشاعر بها ولم يعبر عنها برمز.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.21.2.4.3]

٣-٢-٣-١ الرمز الأوّل: الأم رمز الأرض الفلسطينية

الأم في القصيدة رمز للأرض الفلسطينية المحتلة؛ تبكي أبطالها الذين يموتون الواحد تلو الآخر من أجل تحريرها من يد الاحتلال الصهيوني. فكما أن السيدة مريم(س) بكت ابنها، هذه الأم الحزينة أيضا تبكي(الأرض الفلسطينية) ابناءها...

الأم الفلسطينية اليوم تحزن لكثير من أبنائها الذين يُقتَلون في سبيل تحرير الوطن المحتل كما قتل المسيح(ع) صلباً: "ما لأُمٍّ شيّعتْ/ ألفَ مسيحٍ ومسيح/ وأراقَتْ دمَها المجنونَ في أعيادِ حُزْن"(الديوان: ٣٩٨)

وعلى الرغم من تصوير معاناة الفلسطينيين، فإنّ بصيصاً من الأمل يكمن في مشرديهم الذين ما زالوا يحتفظون بمفاتيح منازلهم الصدئة، في المنافي، على أمل العودة الى الوطن: (صَدِئَتْ في خِيَمِ الْمنفى الْمفاتيحْ/ بِأَيدي الْعائِدينَ).(م.ن: ٣٩٧)

٣-٢-٣-٢ الرمز الثاني: الضيف الغاصب رمز الصهاينة

الضيف الغاصب هو الصهيوني الذي اغتصب أرض فلسطين وسكن فيها مرتاح البال إلى درجة أن استوقد النار فيها دون أن يهاب صاحبها المشرد في الآفاق: "ما لِضيفٍ غاصبٍ/يُوقِدُ نارَهْ/حولَهُ الآفاقُ جدرانُ مغارَهْ"(م.ن: ٣٩٣)

ويأسف الشاعر لعدم أخذ الثار منهم: "ما تُرى تَحكي الرّياحْ/عن جراحٍ فاتَها الثأرْ ..."(الديوان: ٣٩٤) ثم يتساءل متعجباً كيف يُستباح بيتُ المقدس ولا يهبّ احد لنصرته: "ما لِبيتِ القدسِ، بيتِ الله/ مِعراجِ النُّجومْ/ ما لَهُ لَمْ يَحْمِهِ سيفُ ملاكْ"(م.ن: ٣٩٤)

وفي المقطع الأخير من القصيدة يعرض الشاعر بالصهاينة الذين يدعون العدل فيفند قولتهم "نحن شعب الله المختار": "ما وحوشٌ تدّعي الميزانَ والْعرشَ/ وتَزهو وتُغالي/ تَدفعُ الارضَ إلى كهف/ .../ ما الْتِماعُ النّابِ وَالحربَةِ/ في وَجْهِ الْمُدمّى/ حَسرتي، لَحمي، دَمي(م.ن: ٣٩٩-٤٠٠) فيعيّرهم بوحشيتهم وهمجيّتهم في التعامل مع المضرَّج بدمه.

٣-٢-٣-٣ الشخصية الثالثة: الشعوب العربية

يصور الشاعر واقع العرب المرير وما هم فيه من وضع مأساوي ويقارنهم بأجدادهم الذين كانوا يهبون لنصرة المظلوم. وبذلك يعيرهم بتقاعسهم عن نصرة فلسطين المحتلة. فيحلق الشاعر بخياله في التاريخ حين كان العرب يهبون كالرياح ويدكون الحصون ويقتلون الكفار من ابناء الأفاعي: "يمتَطِي الرّيحَ وأَبراجَ التّخومْ/ يضربُ الكفارَ، أبناءَالأفاعي/ من سدومْ"(م.ن: ٣٩٤-٣٩٥) ففي المقطع تصوير عن العرب في تراثهم حين كانوا يغزون الكفار ويدكون حصونهم كما يعرّض بالصهاينة لفسقهم حين نسبهم إلى سدوم الفاسقة التي لا تراعي حرمة ولا أخلاقاً.

وبعد ذلك يصور واقع العرب الراهن المرير: "ما حُماةُ البيت، والعارُ يغنّي/ والضَّحايا تُستباح/ لم ترَ الجنّةَ في ظلِّ الرماح/ ويظلّ العارُ في جفون الميْت/ حيّاً/ تجلدُ الميْتَ رؤاه و تذلّه/ لن تروّي قبرَه/ رائحةُ الغارِ وظلُّه"(الديوان: ٣٩٥-٣٩٦)

نرى في النص مقارنة بين عرب الأمس وعرب الحاضر، فقد كان العربي في صدر الإسلام يستشهد طلباً للحق، أما العربي اليوم فهو يرى بيت المقدس يستباح ولا يحرك ساكناً، فيصل اليأس بالشاعر إلى ذروته، فيقول:

"أَلْجِبَاهُ انْطَفَأَتْ وانطَفَأَ السَّيفُ/ وَأَضوَاءُ البُرُوجْ/ لَيْسَ فِي الأُفْقِ سِوَى دُخْنَةِ فَحْمٍ/من مِحِيطٍ لِخَلِيجْ/ ليس في الأفق/ سِوَى ضِفَّةِ نَهْرٍ، وبُيُوتٍ لا تَبِنْ"(م.ن: ٣٩٩-٤٠٠) فإشارته إلى "من محيط لخليج" تعريض بالعرب على ضعفهم رغم كثرتهم وانتشارهم في رقعة جغرافية واسعة.

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.21.2.4.3]
[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]

٤- النتائج

استعان حاوي بالقصتين المسيحيتين للتعبير عن مواقفه السياسية. فحور في أصول القصص حسب رؤاه الشعرية أولاً والسياسية ثانياً. فجاءت القصص تختلف عما كانت عليه في التراث متناسبة مع مواقفه السياسية. كان هذا التحوير والتغيير في أصل القصة حيث وصل في لعازر إلى حد تصويرها كأسطورة، أما في قصة الأم الحزينة -وإن لم يصل التحوير إلى حد خلق أسطورة- لكنه صبغ القصة بصبغة عصرية جديدة تختلف عن أصلها.

ولقد ضمن الشاعر هذه القصص رؤاه التشاؤمية فاستعان بها للتعبير عن الجوانب السلبية والسيئة في السياسة العربية، خاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية. فصب جام غضبه على القيادات العربية والسياسات الصهيونية الظالمة. هذه اللغة التشاؤمية نراها تزول أحياناً ليحل محلها الأمل بالنصر وذلك عندما يشيد بالأمهات الفلسطينيات وأولادهن المناضلين والبطل الذي ستلده الأمة.

أما الشعوب العربية في القصائد، فهي مصابة بهزيمة نفسية، وقد أصابها العقم فلم تعد قادرة على الإنجاب والبعث. كما أنها ضعفت إلى حد لا تستطيع أن ترد كيد أعدائها؛ كما لا تستطيع أن تسترجع ما استلب من حقها. فغاص حاوي في تاريخها يستقي مواطن قدرتها ليستنهض الهمم ويبعثها من خمودها بذكر الأمجاد التاريخية.

وقد رأينا في قصيدة لعازر شخصيتين؛ لعازر وزوجته. أما الزوجة فليست إلا راوية لجوانب سلبية عن زوجها، وأما الزوج فهو المقصود بالذات في القصيدة، فيصوره الشاعر مرة على لسان الزوجة وأخرى على لسانه هو(أي لعازر)، مع أنّ التصويرين لا يختلفان كثيراً. وفي ختام القصيدة، يعبر الشاعر صراحة عن رأيه حول الزوج ومدلوله طبعا.

وقد استعان الشاعر بالقصص وأبطالها رموزاً للتعبير عن مواقفه؛ فلعازر رمز الشعوب العربية، والسيدة مريم(ع) رمز الأرض الفلسطينية التي تحزن لفراق أولادها، والضيف رمز الصهاينة الذين يغتصبون أراضي الآخرين.

فيصور الشاعر الشعب الفلسطيني وقضيتهم في قصائده تصويراً عاطفياً؛ فالأم تبكي والشباب الفلسطينيون يموتون في ميادين القتال، ومفاتيح البيوت الخالية من أصحابها مازالت في الأيدي. فالفلسطينيون، رغم معاناتهم في المنافي والمخيمات، لا يزالون يجاهدون بأبسط الوسائل لتحرير الوطن من يد الصهاينة.

القصائد إذن تدل على معاناة الشاعر النفسية، من حرمان جنسي في قصيدة(لعازر ١٩٦٢) إلى أحاسيس سلبية كاليأس والغضب في قصيدة(الأم الحزينة) كلها ماثلة للتعبير عن حالات الشاعر النفسية.

لاحظنا أنّ لغة حاوي في قصائده الدينية متوترة جداً؛ تدل على اضطرابه الفكري والنفسي وهذا ما يستنبط من استخدامه عناوين سلبية للقصائد ومقاطعها ومن تراكيب وأوصاف تدل على نوع من الازدواجية في بيان الحالات النفسية المتناقضة على السواء.

في نهاية هذه الدراسة، نقترح أن يدرس شعر خليل حاوي من الناحية السياسية دراسة مبسوطة لما للسياسة من أثر كبير في اتجاهاته الفكرية والشعرية ونشاطاته السياسية، خاصة وأنه الرجل الذي أنهى حياته بسبب الغزو الاسرائيلي للبنان سنة ١٩٨٢م.

بناء على ما عرفناه عنه من أنّه كبير من كبار الشعراء التموزيين -الذين اعتمدوا على الرمز كثيراً- نرى من الأهمية بمكان أن يدرس هذا الجانب من شعره لما ضمنه من رموز كثيرة وذلك بهدف معرفة مدرسة التموزيين واستخداماتهم للرموز.

وأخيراً رأينا كيف برزت الحالة النفسية للشاعر في شعره بروزاً واضحاً، يجعلنا نتخذ من قصائده مادة لبحث مشترك

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.21.2.4.3]

بين فرعي الأدب العربي وعلم النفس؛ يتعاون فيه عالمان من الفرعين يتم فيه دراسة شعر خليل حاوي دراسة تبين مدى زج الشاعر لمسائله النفسية في شعره ومدى أثرها فيه.

المصادر والمراجع

[١] القرآن الكريم

[٢] الإنجيل

[٣] ابوالحسن شيرازى، حبيب الله وآخرون(١٣٩٠)، سياست وحكومت در خاور ميانه، تهران، سمت، الطبعة الاولى.

[٤] إسماعيل، عزالدين(٢٠٠٧)، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، بيروت، دار العودة.

[٥] بشيري، علي وآخرون، الصور الإشارية(التناصية) للموت عند خليل حاوى، مجلة العلوم الانسانية الدولية – العدد ١٩(٤) ٥٥-٧٢ سنة ٢٠١٢م-١٤٣٣هـ. ق.

[٦] بلحاج، كاملي(٢٠٠٤)، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.

[٧] حاوي، خليل(١٩٩٣)، الديوان، بيروت، لبنان، دار العودة.

[٨] شريم، جوزيف ميشال(١٩٨٧)، دليل الدراسات الأسلوبية، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.

[٩] الصالح، د. نضال(٢٠٠١)، النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب.

[١٠] الصبيحي، محمد الأخضر(٢٠٠٨)، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقية، بيروت، منشورات الاختلاف والجزائر العاصمة، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى.

[١١] الصگر، حاتم(١٩٩٩)، مرايا نرسيس، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

[١٢] عشماوي، محمد زكي(١٩٨٠)، الأدب وقيم الحياة المعاصرة، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

[١٣] مفتاح، محمد(٢٠٠٥)، تحليل الخطاب الشعري(استراتيجية التناص)، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة.

[١٤] المقالح، عبدالعزيز(١٩٨١)، الشعر بين الرؤيا والتشكيل، بيروت، دار العودة، الطبعة الأولى.

[١٥] المناصرة، عزالدين(٢٠٠٧)، جمرة النص الشعري، عمان، دار مجدلاوي، الطبعة الأولى.

[١٦] منيف، عبدالرحمن(٢٠٠٣)، بين الثقافة والسياسة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الطبعة الثالثة، والمركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية.

[١٧] المسيري، عبدالوهاب وفتحي التريكي(٢٠٠٣)، الحداثة وما بعد الحداثة، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى.

[١٨] نجفي ايوكي، علي وآخرون، أشكال التناص الديني في شعر حاوي، مجلة: دراسات في اللغة والعربية وآدابها، السنة الثانية العدد السادس صيف ١٣٩٠ هـ. ش.

[١٩] الورقي، السعيد(١٩٨٤)، في الأدب العربي المعاصر، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.21.2.4.3]

References:

[1] The Holy Quran

[2] The Gospel

[3] Abolhassan Shirazi, Habib Allah, et. Al.(2011), Politics and Government in the Middle East, Tehran, SAMT, First edition.

[4] Alian, Hasan(2001), The Heroin of Syria, Beirut, Arab Foundation for Studies and Publishing, The First edition.

[5] Al-Maghaleh, Abdol-Aziz(1981), Poetry between Vision and Composition, Beirut: Dar- Al-Awdah, First edition.

[6] Al-Maisaridr Abdelwahhab and Al-Toraikidr Fathi(2003), Modernism and Post-modernism, Damascus: Dar Al-Fekr, First edition

[7] Al-Manasreh, Ez-Aldin(2007), Cinder Poetic Text, Oman: Dar Majdalawi, First edition.

[8] Al-Sagor, Hatam(1999), Mirrors Narcis, Beirut: University Corporation for Studies and Publishing and Distribution, First edition.

[9] Al-Sobaihi, Mohammad Al-Akhdhar(2008), Introduction to the Text and Application Areas, Beirut: Publications Al-Ekhtelaf and Aljazaer Al-Asemah, First edition.

[10] Al-waraghi, Al-Saeed(1984), In Contemporary Arabic Literature, Beirut: Dar Al-Arab Renaissance for Printing and Publishing, First edition.

[11] Ashmawi, Mohammadzaki(1980), Literature and Contemporary Life Values, Beirut: Dar Al-Arab Renaissance for Printing and Publishing.

[12] Balhaj, Kameli(2004), The Impact of olklore in the Formation of the Arabic Poem, Damascus: Publications of the Arab Writers Union.

[13] Esmaeel, EzAldin(2007), Contemporary Arabic Poetry: Its Issues and Technical Phenomena and Moral, Beirut: Dar- Al-Awdah.

[14] Evadh, Reeta(2002), Khalil Hawi: Poetry and Philosophy of Civilization, Beirut: Dar-Al-Nahar, First edition.

[15] Hawi, Khalil(1993), Office of Poems, Beirut: Dar Al-Awdah.

[16] Meftah, Mohammad(2005), Poetic Discourse Analysis(Intertextuality Strategy), Al-dar Al-baidhah, Morocoy, Fourth edition.

[17] Monif, Ab-Alrahman(2003), Between Culture and Politics, Beirut: Third Edition, Arab Foundation for Studies

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.21.2.4.3]

and Publishing, and Arab Cultural Center, Dar-al-Baidhah.

[18] Saleh, Nedhal(2001), Propensity Legendary in Contemporary Arabic Novel, Publications of the Arab Writers Union

[19] Shareem, Juozef(1987), Stylistic Studies Guide, Beirut: University Corporation for Studies and Publishing and Distribution, Second edition.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.21.2.4.3]

تطبیق تجربه داستانی انجیلی بر وضعیت سیاسی جهان عرب در شعر خلیل حاوی
(مطالعه موردی: دو قصیده "لعازر۱۹۶۳" و "الأم الحزینة")

احمد نهیرات[۱]

تاریخ دریافت: ۱۳۹۲/۵/۱۵ تاریخ پذیرش: ۱۳۹۳/۸/۱

خلیل حاوی داستان‌هایی از مسیحیت را، برای بیان واقعیت سیاسی زمان خویش در شعرش به کار گرفته است، که ایجاد تغییراتی در آن داستان‌ها بگونه‌ای که وی را در بیان دیدگاه‌های شعری و سیاسی‌اش یاری دهند. وی از دو داستان شعری(لعازر ۱۹۶۲ و مادر غمگین) به صورت نمادین استفاده جسته، دیدگاه بدبینانه‌اش در هر دو کاملا هویدا و با به کارگیری مفاهیمی منفی چون یأس، ضعف، حرمان و دوری تبلور یافته است. هدف این پژوهش آشنایی با اسلوب شعری خلیل حاوی است؛ کما این که چگونگی بازخوانی داستان میراثی در این شعر و اسلوب وی در بیان مسائل سیاسی خصوصا درباره موضوع حاکمیت و رابطه بین حاکم و ملت در جهان عرب را نشان دهد. این پژوهش به دیدگاه‌های شاعر درباره این دو(حاکم و محکوم) و روابط آن دو پرداخته است؛ رهبران بی کفایت را نکوهش و جانشینی آنها را با رهبرانی با کفایت خواستار می شود و به ظهور قهرمانی که ملت‌های عربی را رهایی بخشد نوید می‌دهد. بخش عمده‌ای از هر دو قصیده درباره ملت‌های عربی است؛ شاعر آنها را به دلیل سستی و کاهلی و خمودی سرزنش و به خیزش و رستاخیز فرا می‌خواند. ملت فلسطین(خصوصا مادران فلسطینی) را می‌ستاید؛ آنها جایگاه ویژه‌ای در شعر وی دارند. از این پژوهش روشن گشت که روش خلیل حاوی نمادهایی را از میراث مسیحیت به عاریت گرفته و آنها را با دیدگاهی بدبینانه و نقدی گزنده آمیخته است.

کلمات کلیدی: خلیل حاوی، داستان مسیحی، سیاست معاصر، داستان انجیلی، بازخوانی میراث.

۱. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه کردستان a.nohairat@uok.ac.ir

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.21.2.4.3]

Evangelical Dropping Anecdotal Experience on the Political Reality of the Arab Inpoes of Khalil Hawi

Ahmad Nohayrat[1]

Received: 2013/8/6 Accepted: 2014/10/23

Khalil Hawi has used the stories of Christianity & Islam in his poems in order to explain a pattern of the political reality by making changes in them to show his poetrical, and political views. Khalil Hawi benefited from two elegys(Lazarus 1962, Sad Mother) of Christianity to express political reality in the Arab world symbolically and pessimistic vision in these two poems; the pessimism view has emerged in these elegys by explaning the things such as weakness, despair, distance and disease. The goal of this research is investigating his poetric way in showing how the story invoked the heritage and style in the use of the political issues, specially about the realation between government and people. This research deals with the realation between government and people in the poet's view. He reprimands inefficient leaders, and he wants to change them into efficient leaders; he the promises tiding that a person as a hero would deliver to Arab nations. The main part of the elegys is about Arab nations; the poet criticizes them because of their torpor & weakness, and invites them to takeover. He praises Palestine nation(specially Palestinian mothers) as they have eminent station in his poems. He further criticzes the oppression & cruelty of the Zionists. The result of this research is that the way of Khalil Hawi is symbolic. He discovers symbolisms from Christianity heritage, and mixes them with pessimism view and criticism.

Keywords: Khalil Hawi, Christianity's story, Contemporary politics, Evangelical story, Heritage review.

1. Assistant Professor, Dept. of Arabic Language and Literature, University of Kurdistan. E-Mail: a.nohairat@uok.ac.i

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-03]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1436.21.2.4.3]